

تعزيز الشمولية والفنون في لبنان

مراجعة استشارية للتحديات والفرص

بقلم ريم المغربي (2021)

انتاج: [منظمة شرق](#) . المعهد السويدي . "فيرما ألكسندرا ساندلز"

ترجمة: طارق ابي سموة

الباحثات المُساعدات: يارا الشحيد، يارا نحلة، ألكساندرا ساندلز

التصميم الجرافيكي: [bananamoney](#)

أُعدَّت هذه الورقة في سياق [مشروع](#) بادرت إليه ونفّذته "منظمة شرق" و"فيرما ألكسندرا ساندلز" عام 2021 بدعمٍ من المعهد السويدي.

المحتويات

3	الغاية والعملية.....
5	الفنون وتأثيرها.....
9	1.التحديات الرئيسية.....
15	2.الفرص.....
16	التعاون.....
20	المساحات الرقمية.....
23	الابتكار المالي.....
26	التماسك المجتمعي.....
29	الملاحق.....
29	المُشاركون في الاستطلاع.....
31	المصادر والمراجع.....

الغاية والعملية

الفنّ عمليةٌ ابتكار إبداعي. الفنّ يُمكن الخجولين، وغير المرئيين، والذين لا صوت لهم. الفنّ يُسهّل إيصال أفكار مُعقّدة بواسطة أشكال بسيطة. في ضوء ذلك، ما من شكّ في أنّ الفنّ ذو قيمة كبيرة للجميع، وبشكل خاص للذين يعانون من نقص ما، أكان نقصاً في إمكانية الوصول، أو الحرية، أو التعليم. على الرغم من السمعة التي تميّز بها لبنان كإحدى الدول الأكثر تقدماً في منطقة جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا¹، فإنّ معظم سكّان هذا البلد قد حرّموا من المعرفة والحرية المُتاحَتين للذين يملكون إمكانية الوصول من خلال القطاع الخاص، إلى ما يُتوقّع من حكومات العالم كله أن توفّره من خلال القطاع العام.

إنّ الأحداث الأخيرة في لبنان - بما في ذلك انتفاضة الشعب ضد الفساد، وتجميد المصارف للودائع، وجائحة كورونا العالمية، والأزمة الاقتصادية الحادة، والاشتباكات المسلّحة المُتجدّدة - قد أبرزت هذا النقص الذي بات تأثيره يطال الآن جميع الأفراد، سواءً أكانوا أغنياء أم فقراء، مُتعلّمين أو غير متعلّمين. أمام هذا النقص في المياه، والتيار الكهربائي، والمحروقات، وخدمة الإنترنت، والعمل، والمال، قد يتساءل البعض إن كان من جدوى للحديث عن الفنّ، ذلك أنّ كُثراً ينظرون إلى الفنّ على أنّه ترف للذين يملكون الوقت وراحة البال حصراً. بيد أنّ الفنّ، من خلال قوّته كوسيلة للتعبير الإبداعي الفردي والجماعي، قد يكون في صميم حلّ مُستدام وملموسٍ للأزمة الحالية. فالفنّ يُوفّر للناس وسيلةً للتعبير عن الآلام، والتواصل بشكل تعاوني، ورفع مطالبهم إلى الحكومة ومؤسسات

¹ يُشكّل مصطلح "جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا" تعريفاً أدقّ جغرافياً للمنطقة من التوصيف المُسيّس والمُستخدم تاريخياً الذي يمثّله مصطلح "الشرق الأوسط وشمال إفريقيا".

الدولة التي تُعدّ الآليات الوحيدة التي يمكن من خلالها تأمين الاحتياجات الأساسية على نحو عادل لجميع سكّان البلد. لا شكّ في أنّ القطاع الخاص والمؤسسات غير الحكومية والمبادرات المجتمعية قد تعمل بفعالية لتعزيز التماسك المجتمعي وتقديم الإغاثة الإنسانية، لكن يبقى أنّ تأمين البنى والخدمات الأساسية هو دورٌ تضطلع به الدولة حتّى في البلدان الأكثر رأسماليةً.

لقد استندنا في إعدادنا هذه الورقة على هذا التصوّر عن الفنّ وقدرته على إحداث التغيير. وقد سعينا فيها إلى تقييم أثر التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية على قطاع الإبداع في لبنان، وتقديم لمحة عن الوضع الراهن، وتعداد الفرص والتوصيات وفقاً لأربع ركائز عريضة. استفادت هذه الورقة من استشارات ومحادثات مع متخصصين منخرطين في المشهد الفنّي اللبناني من مختلف المجالات، بما في ذلك المسرح والموسيقى والسينما والأدب والفنون الجميلة.

أجري استطلاعٌ عبر الإنترنت دعا منتجي الفنون والمروجين والداعمين لها في لبنان، الموظفين منهم كما العاملين لحسابهم الخاص، إلى التفكير في أثر أربعة أحداث رئيسية على قطاع الفنون: (1) انتفاضة 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2019؛ (2) أزمة عام 2020 المالية، حيث حجزت المصارف على ودائع الناس، وانهار سعر صرف الليرة مقابل الدولار الأميركي بعد أن كانت الليرة مُثبتةً عليه في السابق؛ (3) جائحة كورونا التي شلت نظاماً صحياً كان ضعيفاً في الأساس؛ (4) الانفجار الهائل في مرفأ بيروت في آب/ أغسطس 2020 الذي كان ينبغي أن يتوقّعه المسؤولون في الدولة، ولكنّه كان غير متوقّع إطلاقاً لشعب ما زال في طور التعافي من حروب أهلية دامية، داخلية كما في سوريا المجاورة. من

بين 37 مُشاركاً في الاستطلاع، طُلب من عشرة² التوسّع في الحديث عن تجاربهم، وذلك إما في إطار ورشة عمل جماعيّة، أو خلال مقابلات فردية. أُعطيت النساء الأولوية في عمليّة الاختيار، وذلك لضمان الاستفادة من مبادرتنا لهذه الشريحة الاجتماعية التي حظيت تاريخياً بتمثيل أقلّ. ولهذا السبب نفسه، وفي سعيّ منّا لاتّخاذ الشموليّة قاعدةً، ضمّت المجموعة الأساسيّة من المشاركين فنانيين مهاجرين وكويريين.

استفادت هذه الورقة كذلك من مراجعة أبحاثٍ ومقالاتٍ أخرى تتناول التحديات والمفاهيم والإبداع في هذه المنطقة وفي أوروبا³. ومع أنّ بعض المصاعب والظروف هي خاصة بلبنان، هناك أوجه تشابه مع تجارب بلدان أخرى عاشت هي أيضاً تحولات واضطرابات. إنّ هدفَي هذه الورقة الرئيسيّين هما تسليط الضوء على القيمة التي يجلبها الفنّ إلى المجتمع، وتقديم توصيات تضمن استمرارية الفنّ بوصفه وسيلةً تعبير وتواصل أساسيّة للمواطنين في عالمنا الراهن، ومرجعاً للمؤرّخين المُستقبليين الذين سيُعاينون الممارسات الثقافية والإبداعية الماضية لفهم الأشخاص الذين سكنوا لبنان في مطلع القرن الحادي والعشرين.

الفنون وتأثيرها

تاريخياً، كانت سياسات الرقابة في لبنان أقلّ وطأة مقارنةً بدول جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا الأخرى، ما شكّل عامل ازدهار للأوساط الإعلامية والفنيّة اللبنانيّة، التي حظيت

2 أنظر الملحق الأول حيث التعريف بهؤلاء المشاركين.

3 مُدرّجة في الملحق الثاني: المصادر والمراجع.

بدعمٍ من القطاع الخاص والمنظمات غير الربحية. بالرغم من ذلك، لم تكن الفرص مُتاحةً عموماً إلا للذين امتلكوا الإمكانيات (التعليم، اللغات، إمكانية الوصول، إلخ)، وقد تركّز النشاط الثقافي والفني بشكل أساسي في العاصمة بيروت. في الآونة الأخيرة، أدى وجود اللاجئين في مناطق خارج العاصمة إلى تخصيص المزيد من التمويل إلى مناطق الشمال والجنوب، وهو ما أقدم عليه أيضاً أفراد أثرياء ورجال أعمال تربطهم صلات بمدن وقرى خارج بيروت.

فضلاً عن ذلك، أشارت الاحتجاجات التي عمّت جميع أرجاء البلاد في عام 2019 إلى إمكان نشوء نوع من الألفة بين الناس على الصعيد الوطني، ألفة مبنية على عدم الثقة بالسلطة السياسية وقد تهدد تالياً السردية السياسية الطائفية المهيمنة التي قسّمت سكان هذا البلد الصغير إلى مجموعات طائفية على مدى عقود. تبع ذلك اعتقالات وتشديد للرقابة، فضلاً عن المصاعب الاقتصادية والمعيشية، ما أدى إلى خلق هذه الحركة الاحتجاجية التي كانت ربما لتتسع لولا ذلك، مُستلهمةً من رسومات الجرافيتي والكتابات والأعمال الفنية التي صوّرت الشغف والتطلّع إلى الوحدة والحرية والكرامة.

من نتائج كلّ حركة اجتماعية أنها تعطي زخماً كبيراً للإنتاج الفني الذي يعود بدوره ويعطي زخماً للحركة إياها، أقله على الصعيد الفردي إن لم يكن على الصعيد العام. للفن تأثير كبير جداً، وذلك ليس فقط من خلال قيمته الجمالية، بل من خلال قوّته العاطفية أيضاً. بالتالي، تستطيع قصيدة، أو قطعة موسيقية، أو لوحة، أو رقصة أن تخلق الحماسة وتستثير الفرح والغضب وتوصل المفاهيم، ما يحفز التفكير ويدفع إلى الفعل في نهاية المطاف.

يقول الكاتب والفنان اللبناني ساسين كوزلي⁴: "في خضم الأزمات والكوارث التي تضرب هذا البلد، يتيح الفن للناس عيش لحظاتٍ من الجمال والتمتع بها". وبالرغم من أن ساسين كوزلي يعتبر نفسه ناشطاً، فهو لا يعتقد أن الفن يستطيع بالضرورة أن يدفع الناس إلى الاحتجاج ومحاولة إسقاط النظام. ومع ذلك، فهو يرى أن للفن تأثيراً اجتماعياً كبيراً: "هو يخلق صراعاً وأسئلة في عقول الناس... ويُذكّرنا بلحظات من الإنسانية تتجاوز احتياجات البقاء الآتية التي نرغمنا على التفكير مثل الحيوانات".

أمّا الكاتبة والمُساعدة التنفيذية في "حركة مناهضة العنصرية في لبنان" تيريزا صهيون، فهي توافق على أنّ "الفنّ يُشكّل مساحةً للتعافي الجماعي"، مُشيرةً إلى أنّ العديد من الصدمات هي عابرة للأجيال وتتراكم على مدى عقود من الاحتلال والاستعمار والحروب.

وبالفعل فعلى مدى قرون جمعت الثقافة والإبداعُ الناسَ معاً حول لحظاتٍ من التمتع بالجمال. لكنّ هذا لا يعني أنّ الفنّ ديموقراطيٌّ في جوهره أو قائمٌ على المساواة. فكما تقول ناتاليا سكوتشيلاس⁵ في تقرير جديد صادر عن "الشبكة الدولية للفنون المسرحية المعاصرة": "إنّ مُساهمة الفنّ في النضالات من أجل الديمقراطية والمساواة والحرية لا تملك فرصة النجاح إلّا إذا اتّسم مجال الفن نفسه بالديمقراطية والمساواة والحرية". إنّ الوسط الفنيّ

4 إلّا في حال دُكر عكس ذلك، فإنّ جميع اقتباسات الفنانين في هذه الورقة مأخوذة من مقابلات أو مجموعات تركيز استضافتها "منظمة شرق" في نيسان/ أبريل 2021. للاطلاع على سير الفنانين، أنظر الملحق الأول.

5 Art & Activism: Report from the IETM Rijeka Plenary Meeting, 24–27 October 2019, by

Natalia Skoczylas

البناني يفتقر إلى مثل هذه الفضائل - وفقاً لما يقوله العديد من الفنانين المنتمين إليه - ما يحدّ من قدرته على تشجيع الحركات الجماهيرية.

ومع ذلك، فقد أثار الفنّ العديد من النقاشات حول الهوية الفردية والوطنية في سياق النظام السياسي والقانوني الطائفي في لبنان، كما في سياق دور لبنان كمضيف لحوالي مليون لاجئ سوري. وقد استخدمت العديد من المنظمات غير الربحية الفنونَ بمختلف أشكالها كوسيلة لتعزيز الحوار بين الثقافات والتماسك الاجتماعي. بهذه الطريقة، يستطيع الفنّ عكس الهويات، لا بل حتى المساهمة في صياغتها فيما هي تتشكّل وتتبدّل.

تزامن الاهتمام الدولي المتزايد بالتأثير الاجتماعي والدور الإيجابي للفنون في سياق العمل الإنساني مع الاهتمام بقدرة الصناعات الثقافية والإبداعية على تعزيز التنمية المستدامة وخلق فرص عمل تشمل جميع فئات المجتمع، لا سيما في الدول ذات الاقتصادات النامية. ومما يؤثّر على ذلك الدليل⁶ الصادر عن اليونسكو حول قياس المساهمة الاقتصادية للصناعات الثقافية.

قامت دراسة⁷ أجريت عام 2015 وتناولت 11 قطاعاً من قطاعات الصناعة الثقافية والإبداعية - الإعلان، الهندسة المعمارية، الكتب، ألعاب الفيديو، الأفلام، الموسيقى، الصحف/المجلات، فنون الأداء، الراديو، التلفزيون، والفنون البصرية - بتقييم مساهمة هذه

Measuring the economic contribution of cultural industries: A review and assessment of 6 current methodological approaches, UNESCO, 2012

Cultural Times: The First global map of cultural and creative industries', CISAC, 2015 7

الصناعة في النمو الاقتصادي عالمياً، وقدّرت أنها تدرّ إيرادات تبلغ 250 مليار دولار أميركي سنوياً وتخلق 29.5 مليون فرصة عمل عالمياً.

والدراسة هذه، التي صنّفت أفريقيا والشرق الأوسط كمنطقة واحدة، أشارت إلى أنّ الصناعة الثقافية والإبداعية في هذه المنطقة تمثّل 1.1% من الناتج المحلي الإجمالي الإقليمي، وهي نسبة أدنى بكثير مما تمثّله من الناتج المحلي الإجمالي في أميركا الشماليّة (3.3%). قد يكون تدخّل الدولة والقدرات التقنية المنخفضة من بين أسباب تأخّر هذه الصناعة في منطقة أفريقيا والشرق الأوسط، إلّا أنّه من الواضح أنّ لهذه الصناعة إمكانات اقتصادية ذات تأثير، وأنّ الاستثمار فيها مجدّ.

علاوة على ذلك، فإن الشركات العاملة في هذه الصناعة، عالمياً ولا سيّما في البلدان النامية، هي شركات صغيرة وتقع عموماً ضمن الاقتصاد غير الرسمي وتوظّف في الغالب الشباب وأفراداً من جميع الخلفيات. ينطبق هذا على المشهد الاقتصادي اللبناني الراهن، ما يُشير تالياً إلى وجود بيئة مناسبة للصناعة الثقافية والإبداعية في لبنان، إن توفّرت الموارد المالية واللوجستية لذلك.

1. التحديات الرئيسيّة

وقعت في العامين الماضيين أربعة أحداث كبرى في لبنان كان لها تأثير هائل على البلد وسكّانه وقطاع الفنون فيه: ثورة 17 تشرين الأوّل/ أكتوبر 2019؛ انخفاض قيمة العملة الوطنية والانكماش الاقتصادي الأوسع نطاقاً؛ جائحة كورونا؛ وانفجار مرفأ بيروت في آب/

أغسطس 2020. في حين وافق جميع المشاركين في الاستطلاع على أن هذه الأحداث كان لها جميعها تأثيراً كبيراً على قطاع الفنون في لبنان، لم يكن ثمة إجماع بشأن أيّ منها كان له الأثر الأكبر. وذلك أمرٌ مفهوم نظراً لمدى ترابطها وقرب أحدها من الآخر زمنياً.

إنّ جميع هذه الأحداث اقتصادية وسياسية بطبيعتها، وبالتالي فإنّ تصنيفها وفقاً لما هو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أمرٌ لا طائل منه. لقد اندلعت الثورة بسبب الظلم الاقتصادي والاستياء العارم من نظام حكم مختلّ وفساد أوصل الجميع - باستثناء النخبة الحاكمة - إلى حالة من عدم الأمان الاقتصادي والجسدي. أدّى انهيارُ سعر الليرة اللبنانية وحجْرُ ودائع الناس في المصارف إلى تفاقم اللامساواة الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت جائحة كورونا عدم كفاءة النظام الصحي العام وفاقمت البطالة والفقر وأدّت إلى تشديد القيود المفروضة على الناس. أمّا الانفجار المهول في المرفأ، فقد نشر في الهواء رائحة فساد، وعدم كفاءة، وجشع، ورقابة.

لطالما افتقر قطاع الفنون في لبنان إلى الدعم العملي والمالي الذي توفّره الدول الأوروبية الأكثر ديمقراطيةً التي تُثَمِّن دور الفنون في تعزيز التماسك الاجتماعي والخطاب العام. ومع أنّه لم يطرأ على النخبة السياسية اللبنانية تغييرات كبيرة على مدى العقود الأربعة المنصرمة، فإنّ المشهد السياسي كان يعاني من عدم استقرار كبير، ممّا لم يسمح للفنانين والناشطين بتحصيل مطالب بدعم حكومي شامل لقطاع الفنون. على أنّه تنبغي الإشارة إلى أنّ غياب التمويل الحكومي في بلدٍ ينهشه الفساد ويخضع فيه كلّ شيء للمحاصصة الطائفية، قد يعزّز من استقلالية قطاع الفنون ويضمن أنّ الإنتاج الفني يعكس صوت الناس وليس وجهة نظر السلطة السياسية.

لكن في الواقع، فإنّ قطاع الفنون اللبناني قد اضطر إلى الاعتماد على التمويل الخاص أو الأجنبي، وهذا أمرٌ له ثمنه. يوضح ساسين كوزلي أنّ "المشهد الفنّي، أو جزء منه على الأقل، يُستخدَم أحياناً لتبييض صفحة السياسيين، فضلاً عن أنّه مدعوم من المصارف. إنّ المصارف نفسها التي تحجز على أموال الناس تدعم فعاليات موسيقيّة... علينا الكفّ [نحن الفنانون] عن تلقّي الأموال من المصارف والمؤسسات الإعلاميّة الكبرى. فذلك أشبه ببيع أرواحنا، إذ نصبح حينئذٍ تجّاراً".

من بين الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع، وافق 92% على أنّ حجز المصارف للودائع هو عامل مساهم في تراجع قطاع الفنون. فمع حجز هذه الودائع، انهار سعر صرف الليرة اللبنانية مقابل الدولار، فبات من يتقاضى أجراً بالليرة أكثر فقراً، ومن يتقاضى أجراً بالدولار أكثر ثراءً. تقول تيريزا صهيون: "أعتقد أنّ انخفاض قيمة العملة الوطنية كان له أثر مزدوج. فمن ناحية، نظراً لأنّ الكثير من المشاريع الفنّيّة تُموّلها مؤسّسات أجنبيّة بالدولار، فإنّ المشاريع هذه ربما صارت أكثر إدراراً للربح بالنسبة لبعض الفنانين. لكن على المدى الطويل، أعتقد أنّ انخفاض قيمة الليرة قد صعّب على الفنانين كسب عيشهم من فنّهم، وأظنّ أنّ هذه الحالة ستستمرّ طويلاً".

مع أنّ بعض الفنانين وجدوا صعوبةً في سداد قروض مصرفيّة كانوا حصلوا عليها لدعم عملهم، فإنّ معظم الفنانين المشمولين بالاستطلاع وافقوا على أنّ الفنون، وبالعكس الصناعات الإبداعيّة الأوسع نطاقاً، كانت في الغالب مدعومةً عن طريق المنح وليس الاستثمارات. يقول ساسين كوزلي: "لا يسعى الفنانون إلى استرداد الأموال المصروفة من الجمهور، فالفنّ مُنتجٌ قد دُفِع ثمنه ونحن لا نعتمد على بيع التذاكر". هذا واقعٌ يؤثّر على

نظرة الفنانين الشباب إلى الفن، فكما يُضيف كوزلي: "تُشعر أنّ الجمهور غائب جداً عن إدراكنا للفن ونظرتنا إليه".

علاوة على ذلك، وكما تشرح المُعنيّة بترا حاوي، فإنّ "الأزمة الاقتصادية وانخفاض قيمة الليرة اللبنانية قدّ بدلًا أولويات الناس. كانوا يحضرون العروض قبل ذلك، أمّا الآن فلم تُعدّ هذه أولويّة لهم".

على هذا النحو انخفض الدخل من المصارف والجمهور، فبات الفنانون يعتمدون بشكل متزايد على تمويل الجهات المانحة كما على المشاريع التجارية. يصعب الحصول في لبنان على بيانات مُتّصلة بهذا الشأن، لكنّ تقريراً⁸ من الولايات المتحدة (حيث تسعى القوانين والسياسات ومجموعات الرقابة المُستقلّة إلى تحقيق الإنصاف في جميع المجالات، بما في ذلك الفنون) يُشير إلى أنّ "الفوارق المُنتشرة في مجتمعنا، والقائمة على العرق والنوع الاجتماعي والقدرات، تسود أيضاً بالقدر ذاته في كلّ من قطاعيّ الفنون غير الربحي والتجاري. وعلى الرغم من التنوّع الثقافي والعريقي المتزايد في البلاد، واتّساع نطاق التقاليد الثقافية المُمارَسة على مستوى كبار الاختصاصيين، لا يزال النظام البيئي للفنون يُميّز مجموعة ضيّقة نسبياً من المقاربات الجماليّة على حساب غيرها".

أيضاً في لبنان، يُشكّل الوصول العادل إلى المنح مصدر قلق. ففي مشهد فنيّ لبناني يشمل أشخاصاً من خلفيات متنوّعة، ثمة فئات - نتيجة الظروف - أقلّ تمكّناً من غيرها، لا سيما

في ما يخصّ القدرات اللغوية الضرورية لكتابة اقتراحات تفوز بمنح. يقول الفنان التشكيلي محمد المفتي إنّ من نتائج ذلك "مَنح التمويل غالباً إلى الفنانين الراسخين الذين لا يحتاجون أصلاً إلى تمويل". ويقترح المفتي الابتعاد عن الاعتماد على المانحين وتفكيك "الفنانين الناشئين والمكرّسين" لصالح مقارنة تُركّز على الموضوعات أو الثيمات. إنّ مثل هذه المقاربة من شأنها هدم الجدران التي تفصل بين النخبة والأشخاص الأقلّ امتيازاً. إنّ هذه العملية غالباً ما تُسهّلها الأماكن العامة في أوروبا، إلّا أنّ لبنان يُعاني من اضمحلال الأماكن العامة، فضلاً عن أنّ القليل الذي تبقى من التفاعل في الفضاء العام قد قُيّد مؤخراً نتيجة جائحة كورونا.

تقول تيريزا صهيون إنّ "الجائحة كان لها بكل تأكيد أثراً هائلاً. لقد صَعبت مشاركة الفنّ مع مجتمعات أوسع، إذ لم تُنظّم لا حفلات ولا معارض... أُغِيَت جميع دروس الفنّ والفعاليات الاجتماعية".

ويقول ساسين كوزلي إنّ نظرة الدولة للفنون على أنها ترف – أو أقلّه مُعاملتها الفنون على هذا النحو – كان لها أيضاً دور في ذلك، فقد "أغلقت [الحكومة] المسارح بسبب جائحة كورونا ولكنها سمحت باستمرار تصوير المُسلسلات الرمضانية من دون اتّخاذ أي إجراءات صحّية... وفيما ظلّت المساجد والكنائس مفتوحة".

تقول القيّمة الفنّية في متحف سرسق في بيروت ماري نور حشيمة إنّه بالرغم من أنّ ثورة 17 تشرين الأوّل/ أكتوبر 2019 "جمعت الفنانين معاً وخلقت مساحات للحوار والنقاش"، فقد أدّت إجراءات الإقفال الشامل إلى تفتيت هذه الطاقة الجديدة. وتُضيف: "القيود

المفروضة نتيجة تفشي الفيروس خلقت عزلة داخل المشهد... وتقلّصت فرص اللقاء والتبادل بين الفنانين".

بالإضافة إلى تقييد المساحة الماديّة، فإنّ جائحة كورونا قيّدت أيضاً المساحة الذهنية الفردية، وقد فاقم ذلك بحدّةٍ شديدة انفجارُ مرفأ بيروت في آب/ أغسطس 2020، فبات الأفراد يجدون صعوبة بالغة في إعطاء معنى لهذه الكارثة. وفي هذا الصدد تقول تيريزا صهيون: "يُصعب تحديد كيف أثر الانفجار على الفن بالضبط، ولكن استناداً إلى ملاحظاتي الشخصية، ونظراً إلى أنّ الصدمة كانت مُنهكة للغاية وأصابت الناس بالعجز، أعتقد أنّ هذا الأثر طال كلّ الفنانين تقريباً وتسبّب في فقدان الكثير من الأشخاص ثقتهم بأنفسهم وبجدوى الممارسة الفنيّة في منطقتنا. فضلاً عن أنّه يصعب كثيراً إنتاج أعمال فنيّة تتناول الانفجار لأن ذلك قد يُسبّب استعادةً للصدمة".

على الرغم من التحديات، تعتقد المُستشارة في مجالي الفن والتربية ديما مبسوط أنّ إنتاج الفن أصبح الآن أكثر أهميّة من أي وقت مضى، وذلك من أجل "الرفاه وبناء المجتمع وتطوير الهدف... دفعتني ثورة تشرين الأوّل/ أكتوبر إلى لقاء مجموعة من الفنانين والتشبيك معهم، وكان هؤلاء الفنانين يتشاركون في القيم والرؤى، كما بشعورهم أنّه بات مُلحاً على المُجتمعات أن تبدأ في العمل معاً من أجل إيجاد طرق عيش بديلة. سعينا في عملنا إلى إعطاء معنى وجودي إلى البيئة المُتبدّلة التي كنا نواجهها. شكّلنا مجموعة فنيّة وبدأنا ننظّم عروضاً ومسيرات وورش عمل. دفعنا انخفاض قيمة الليرة اللبنانية إلى التفكير بشكل خلاق في كيفية استخدام مواردنا في حياتنا اليومية وممارساتنا الفنيّة. استكشفتنا العيش المُشترك

والإبداع الجماعي. أُغْلِقَت البلاد خلال الجائحة وخسرنا وظائفنا، ما أتاح لنا الوقت لنكونَ معاً ونُمارِسَ الفنَّ".

سوف نخوض في الفصل التالي (الذي يتناول مسألة الفرص) حاملين معنا تلك الطاقة الإيجابية وذلك العطش للحياة والإبداع، لكن من دون تجاهل فشل الدولة وأطراف أخرى في الوفاء بمسؤولية ضمان حياة وحرية الأشخاص الذين يقعون تحت سلطتها.

2. الفرص

ثمة الكثير من التحديات، وقد حدّناها لإيضاح الرؤية وليس لتثبيط عزيمة الفنانين والناشطين وداعمي الفنون وثنيتهم عن فعل ما في وسعهم لتعزيز قطاع الفنون في لبنان، وهو ما يُمثّل وسيلة أساسية لدعم المشاركة المدنية والمُجتمعية في وقتٍ تشتدّ فيه الحاجة إلى مثل هذه المشاركة.

تحقيقاً لهذه الغاية وفي سعيّ لتعزيز العمل الاستباقي، يعرض هذا القسم عدداً من الفرص التي يستطيع اغتنامها كل من يتشاركون في الاعتقاد بأنّ الفنون أداة مهمّة وقيمة لتحديد احتياجات سكان لبنان (بكل تنوعهم) والتحفيز على العمل تزامناً مع الدعوة إلى المساءلة.

من خلال الحوار والاستكشاف، تم تحديد أربعة مجالات رئيسية يمكن للعمل في إطارها المساعدة في تعزيز قطاع الفنون في لبنان، وهي التالية: التعاون، المساحات الرقمية، الابتكار المالي، والتماسك المجتمعي.

التعاون

ليست ديمًا مبسوط الفنانة الوحيدة المقيمة في بيروت التي تتذكر بحماسة حالات من الألفة والصُّحبة نشأت بين الفنانين في الأشهر الصعبة من عام 2020. فعازفة البيانو والمُدْرسة صبا علي تتذكر هي أيضاً بعطفٍ واعتزاز التعاونات الكثيرة التي انخرطت فيها آنذاك. تقول: "بعد الانفجار، أطلقنا حملة لجمع التبرعات من أجل دعم الفنانين الذين يواجهون صعوبات. استطعنا إدارة 58 مهمة كبيرة... بعض هذه المهمات أمنت الإغاثة، وبعضها الآخر دعمت الإنتاج الموسيقي". وتقول علي إنَّ حسَّ المشاركة هذا هو في صميم الإحساس بالإنسانية، وتضيف: "أن تُمارس الفنَّ يعني أن تُدركَ ما هو دورك في مجتمعك".

أمَّا المخرجة السينمائية رانية رافعي، فشعرت أثناء أشهر الحجر بالحاجة إلى الانتماء إلى مجتمع، ولذلك بذلت جهداً لإشراك الآخرين في عملها. تقول: "صناعة الأفلام فعلٌ يتمحور حول الذات إلى حدِّ ما، لذا كان عليّ ابتكار طرق لإنجاز أفلام على نحو مختلف... أفلام تشمل المزيد من الناس". بالنسبة لها، تجاوزَ الأمرُ النواحي العمليَّة ووصل إلى طرح تساؤلات فلسفيَّة الطابع. تقول: "يبدأ الشخص في التساؤل عن غاية الفنَّ"، ثم تَدْكُر الواقعيَّة الإيطاليَّة الجديدة (وهي حركة ثقافيَّة سينمائيَّة ظهرت في إيطاليا بعد الحرب العالميَّة الثانيَّة وتميَّزت بقصص عن الفقراء كانت تُصوِّر خارج الاستوديوهات وبالاستعانة بممثلين غير محترفين) كمثال عن تأثير الصراعات على الفنون. وتضيف: "بعد [الثورات العربيَّة] عام 2011، سعى الطلاب إلى التواصل مع مخرجي الأفلام الذين بدورهم سعوا إلى التواصل مع العمَّال"، وتُشير إلى الحاجة إلى إنشاء منصَّة لتسهيل التواصل بين هذه الأطراف المتعددة.

تعتقد فنانة القصص المصوّرة لنا مرهج أنّ مثل هذه المنصّة يمكنها أنّ تتخذ شكل نقابة، أو أنّ وجود نقابة يمكنه تسهيل إنشاء منصة كهذه. تقول: "إنّهُ شعور مُلح سلّطنا الضوء عليه خلال الأزمة... لم نتمكن من النشر في السنوات الأخيرة، لذلك أنشأنا نوعاً من التجمّع يُشبه النقابة ويُساعد الفنانين على العثور على إقامات فنيّة... لكننا قلّةٌ ووحيدون، ونعمل في عزلة".

تقول بترا حاوي إنّ المشاريع المُجتمعيّة تحفّز الناس على بذل وقتهم ومواهبهم من دون مقابل ماديّ. وتضيف: "العمل الجماعي هو جهد عضوي، لكننا نحتاج إلى تجمّع أو هيكلية ما تتيح لأصحاب المواهب اللقاء والتواصل على نطاق أوسع. لقد انهار لبنان، ونحن بحاجة إلى التعاون من أجل البقاء جماعياً". تخشى أنّ الوباء قد فاقم من العزلة، لا سيما في مجال الموسيقى حيث اللقاءات وجهاً لوجه بالغة الأهمية. تقول: "الأماكن التي تستقبل العروض الموسيقية مُغلقة وقد باتت الآن أكثر تكلفة، وكذلك الأمر بالنسبة للمعدّات. كما أنّ الدولة لا تدعمنا، لا بل أنها لا ترانا أصلاً". تُحبّذ بترا حاوي فكرة إنشاء تجمّع تدعمه ربما شركة إنتاج، لكنّها تخشى أنّ مثل هذه الكيانات قد تفرض توجّهات على إنتاج الفنانين.

أدركت بعض منظمات التمويل⁹ الحاجة إلى التعاون، فأخذت تُقدّم المنح حصرياً إلى مجموعات الفنانين التي تعمل بشكل تعاوني. ثمّة مجموعات أخرى من الفنانين المُقيمين في لبنان أو في الخارج¹⁰، وحدّت جهودها بهدف تقديم ما في وسعها (الدعم اللوجستي،

9 برنامج *Self Organizations* للمنح الذي تُديره مؤسسة "مفردات" هو مثال عن ذلك.

10 "مراسلة" هي منصة "من زميل إلى زميل" تدعمها وزارة الخارجية الفرنسية وتشكّل جزءاً من مبادرة "ليبروت" التي تُديرها اليونسكو.

المعلومات، مساحات للإقامات الفنية، المنح الصغيرة) للفنانين المقيمين في لبنان. ومع أنّ الأمر هذا مشجّع، ترى ماري نور حشيمة أنّ ضيق نطاق هذه المبادرات لا يُحوّلها إحداث تأثير كبير. تقول: "لا يزال العمل الجماعي هنا بدائياً، مثل استعارة المعدات... يمكننا تعلّم الكثير من "آرتس كولابوراتوري" (Arts Collaboratory)، وهي شبكة أفقية ذاتية التنظيم تتألف من 25 منظمة من أميركا الجنوبية. والمنظمات هذه تتبادل المعارف مُستخدمةً أدوات تُسهّل العمل التعاوني".

لعلّ الخطوة الأولى لتطوير وتبني ممارسات جديدة وفعّالة هي الإقرار بأنّ النظام البيئي الذي عمل فيه الفنانون في لبنان حتّى الآن ليس كافياً لتطوير وترويج فنّ ذا تأثير فعلي على المجتمع.

لا ينبغي على التعاون أن يبقى محصوراً في حدود لبنان. فهناك الكثير لكسبه من المبادرات العابرة للدول¹¹ والتي تُسهّل تبادل المعارف وإنتاج الفن وترويجه على نطاق عابر للحدود. تستطيع مثل هذه المبادرات المساعدة أيضاً في ضمان استمرار تعاون الفنانين اللبنانيين المهاجرين مع الذين بقوا في لبنان، ما من شأنه تعزيز تطوير سرديات مُتماسكة تعكس حسّاً مُشتركاً بالهوية والمكان. وعلى نحو مماثل، فإنّ الشراكات التي تعزز الفنون لا ينبغي حصرها في هذا القطاع فحسب. فاستكشاف احتمالات التعاون بين الفنون والسياحة، مثلاً، يمكنه أن يكون مثمراً لكلا القطاعين.

11 من الأمثلة الإيجابية عن التعاون العابر للحدود مبادرة *Open Up*! التي أنشأتها "مؤسسة دروسوس" في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ومبادرة *Perform Europe* المدعومة من الاتحاد الأوروبي.

1. إنّ المساحات المجهّزة والمتاحة لجميع الفنانين يمكنها تعزيز الإنصاف وبناء السلام عبر المجتمعات وتسهيل تطوير الفنون التعاونيّة التي تعكس رغبات ومطالب مجتمعاتٍ أوسع.
2. إنّ الإقامات الفنيّة في لبنان، التي تجمع فنانين من مناطق جغرافية واختصاصات وخلفيات اجتماعية-اقتصادية مختلفة، قد تُشكّل وسيلة فعّالة من حيث التكلفة لبناء مجموعات فنيّة تُعزّز التماسك الاجتماعي والإنتاج الفني المستدام.
3. يمكن تسهيل إنشاء المجموعات الفنيّة من خلال عمليات المانحين التي تُشجّع تبادل الأفكار بين المُتقدّمين من مختلف الاختصاصات في المرحلة الأولى من عملية التقدّم، وتدعم المُتقدّمين في مراحل تطوير المفاهيم والإنتاج والعرض. علاوة على ذلك، فإنّ دعم المانحين للفنانين غير البارعين في كتابة المُقترحات، ولكن المُتمكّنين من ممارساتهم الإبداعية، يمكنه تعزيز التوزيع الأكثر إنصافاً للأموال والموارد.
4. إنّ الفعاليات والمبادرات والمساحات التي تُشجّع، في لبنان وسائر منطقة جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، الأفراد والمؤسسات (من المجتمع المدني والقطاعات الثقافية والأكاديمية وغيرها من القطاعات التكميليّة) على استكشاف إمكانات التعاون وإقامة العلاقات، يمكنها أن تعزز تطوير واستدامة الفنانين والفنون.

المساحات الرقمية

شكّلت المنصات الإلكترونية شريان حياة للعديد من الفنانين خلال فترات الحجر والعزلة والإغلاق الشامل في عام 2020. وفيما أشاد الكثيرون بالفرص التي أتاحتها التكنولوجيا الرقمية للفنانين، كان البعض الآخر أكثر حذراً، لا سيما بشأن تأثير الرقمنة المحتمل وطويل المدى على الفن.

تتساءل رئيسة قسم السياسات والأبحاث في "الشبكة الدولية للفنون المسرحية المعاصرة" إيلينا بوليفتسييفا، عمّا إذا كان ينبغي علينا "استغلال هذه الأزمة كفرصة لتحسين حضورنا الرقمي؟ أم إذا كان علينا، بدلاً من ذلك، مقاومة هذه الحاجة إلى الإبداع والعرض بأي وسيلة، وذلك لأننا في خضم أزمة وعلينا تالياً أن نتباطأ بعض الشيء؟"¹². ترى بوليفتسييفا أنّ الفنانين يُدفعون إلى إعادة النظر في جوهر عملهم "فيما تحصل القطاعات الأخرى - والتي لا تستطيع هي أيضاً مواصلة طريقة عملها المعتادة - على دعم غير مشروط".

من الضروري التمييز بين المساحات الرقمية (التي تُسهّل التشبيك، أكان ذلك بين الفنانين أنفسهم أو بينهم وبين المُستهلكين) والرقمنة، التي تعني أنّ كامل عمليّتي الإنتاج والاستهلاك تتمّان عبر الإنترنت. يخشى كثيرون أن تؤدي الرقمنة إلى جعل الفنّ مجانياً واستهلاكياً وهدم القيمة ومُفرغاً من أي هويّة محلية.

12 تقرير: "Live Arts in the Virtualizing World". أنظر المصادر والمراجع لمزيد من التفاصيل.

يقول محمد المفتي: "صار الفن عبر الإنترنت تجارياً ومُربحاً... البيع وإقامة المعارض عبر الإنترنت أسهل على الرسامين... العمليات اللوجستية أسهل، ومن المؤكّد أن الأعمال تصل إلى جمهور أوسع... لكن ذلك يُضعف من التفاعل الفعلي مع الفنّ".

في حين أن المعارض الإلكترونية تستطيع تسهيل إيصال الأعمال الفنية البصرية إلى المستهلكين المُحتملين، فإنّ إيصال الفنون الأخرى إلكترونياً يمثل تحدياً أكبر، لا سيما في لبنان. تقول ماري نور حشيمة: "أنشئت الكثير من منصات الأفلام مؤخراً، ما من شأنه تسليط الضوء على إنتاج الأفلام. لكنّ المنصات المدفوعة ليست حلاً فعّالاً في لبنان، لا سيما بعد انهيار القطاع المصرفي".

تقول رانية رافعي بحماس: "كان مثيراً للاهتمام رؤية أشخاص يُنشئون بشكل عضوي منصات للنقاش تحوّلت إلى نوادي سينما صغيرة... كان ثمة حاجة كبيرة لذلك، وقد سهّل هذا الأمرُ التواصلَ واللقاءَ بين أشخاص من مختلف الطبقات الاجتماعية. ومع ذلك يبقى مهماً جداً توفّر المساحات المادية قبل الانتقال إلى المساحات الرقمية... نحن بحاجة إلى مساحات يجتمع فيها الأشخاص ويبدعون... نحن بحاجة إلى أن نجتمع وجهاً لوجه بصفتنا سكّان البلد ذاته".

تقول لنا مرهج إنّ الإنترنت سهّل أيضاً تطوير علاقات جديدة بين الكتّاب والمحريين. وتضيف: "لم يعد الكتّاب يستطيعون كسب عيشهم من 10% من عائدات المبيعات فقط... يُتيح الإنترنت فرصاً للنشر الذاتي وكذلك لإنشاء شبكة علاقات تربط الفنانين الذين يلجأون إلى صيغة النشر هذه. النموذج هذا يُلاقي نجاحاً في أوروبا لأنهم يمتلكون هناك البنية التحتية اللازمة لذلك؛ لكنه نموذج لا يمكنه النجاح في لبنان لأننا لا نملك نظاماً بريدياً

فعّالاً". لكن بعد قولها ذلك بشيء من الاستسلام، واصلت الحديث بحماس مُتطرّقةً إلى التأثير الإيجابي لمنصات التمويل الجماعي عبر الإنترنت.

سارة مُهاجرة إثيوبية مقيمة في بيروت كانت اعتادت حضور ورش عمل كتابيّة في مركز مجتمعي قبل تفشي فيروس كورونا. لم يكن حضور ورش العمل مُتاحاً لها ولزملائها الكتاب. تقول: "لم يكن ممكناً عقد الورش عبر الإنترنت لأنّ الإنترنت لم يكن متوفراً للمشاركين، ولأنّنا كنّا نتكلّم عن صدمات عانينا منها، ومن غير المُريح القيام بذلك عبر الإنترنت، لا سيما وأنّ الخدمة رديئة. لا يمكننا الحصول على الصوت والصورة معاً، وبالتالي كانت لغة الجسد تغيب كلياً".

يوافق ساسين كوزلي على أنّ رداءة خدمة الإنترنت في لبنان تُشكّل عائقاً أمام انتشار المساحات الرقمية عالية الجودة والتي تُعنى بالفنون. يقول: "هناك مسألة البنية التحتية في لبنان. الانتقال إلى المجال الرقمي يتطلّب الاستثمار في البنية التحتية. لكنّ القيام بذلك يخلق فقاعات جديدة. فحتى لو استثمر أحدٌ 200 ألف دولار في أفضل التقنيات لإنجاز مشروع ما، من الذي سيرى هذا المشروع؟ فقط الذين لديهم خدمة إنترنت جيدة. لذا، لن يكون هذا المشروع موجّهاً إلى الداخل اللبناني، بل إلى المُقيمين في الخارج".

الفرص الرئيسيّة:

1. إنّ إنشاء تجمّع رقمي يستفيد من الأدوات الرقمية المعاصرة ويتيح للفنانين التواصل والتشبيك على المستوى الوطني (وربما الإقليمي أيضاً) يمكنه أن يُسهّل التواصل

- الهادف وتبادل المعارف والإنتاج التعاوني. إنّ تصميم مثل هذه المنصات ينبغي أن يأخذ في الاعتبار نوعية خدمة الإنترنت المُتاحة لمعظم الناس.
2. إنّ المساحات الرقمية الهجينة، التي تُشجّع الحضور الفعلي للفعاليات الحيّة تزامناً مع إتاحة الحضور الرقمي للذين لا يستطيعون السفر، ربما يمكنها إفادة الفنانين من حسنات المساحات الرقمية لكن من دون أن يترافق ذلك مع الرقمنة القسريّة.
3. إنّ تطوير نماذج ماليّة يمكن اعتمادها للتوزيع الرقمي في البلدان حيث النظام المصرفي ضعيف وخدمة الإنترنت ليست جيدة، قد يُساعد في تعزيز إيصال الفنون رقمياً في لبنان وغيره من دول غرب آسيا وشمال أفريقيا.
4. إنّ التعاون بين المُبدعين وناشطي المُجتمع المدني يمكنه تعزيز تطوير واستدامة جهود الضغط التي تُطالب ببنية تحتية ذات جودة أفضل (خدمة إنترنت، خدمات مصرفية، نظام بريدي، إلخ).

الابتكار المالي

تقول رانية رافعي إنّ النجاح - أو أقله الاستدامة - في الأزمنة العصيبة يتطلّب ابتكاراً وقدرة على التكيف. وتضيف: "تحتاج إلى جعل الأفلام أقصر، والعمل ضمن مجموعات، وتطوير نماذج عمل جديدة، وتسريع الإنتاج".

تُموّل الفنون في الغالب بإحدى الطريقتين التاليتين: المعاملات التجارية وتمويل المانحين. تتطلّب الطريقة الأولى أن يُنتج الفنانون وفقاً لأذواق الأشخاص المُستعدين لدفع مالٍ من أجل الحصول على تجربة فنيّة. أمّا الطريقة الثانية، فتتطلّب منهم استيفاء المعايير التي

تُحدِّدُها المنظمات (الأجنبية عموماً) ومحاولة التوفيق بين هذه المعايير وأولوياتهم وأهدافهم. في العديد من البلدان، يكسب الفنانون عيشهم من العمل التجاري والمنح معاً. وهم غالباً ما ينتجون أعمالاً فنية تجارية لتأمين دخلهم فيما يسعون للحصول على منح لتسهيل إنتاج أعمال تمكّنهم من التعبير عن أنفسهم من دون عوائق، وذلك غالباً في سياق النشاط المدني.

إنّ معظم الدول الأوروبية، إن لم يكن كلّها، تمتلك صناديق وطنية تتيح للفنانين تقديم طلبات للحصول على منح لدعم عملهم. وغالباً ما تعطي هذه الصناديق الأولوية للمشاريع التي تُساهم في التنمية داخل المجتمعات. يقول محمد المفتي: "على وزارة الثقافة أن تلعب دوراً أكبر، عليها إنشاء صناديق تمويل ووضع سياسيات وأطرٍ لدعم الفنانين وحمائيتهم. نحن نفتقر إلى كل ذلك، لذا يعتمد الفنانون على الممولين الأجانب".

قد يبدو من العبث توجيه توصيات إلى الدولة اللبنانية نظراً إلى فساد مؤسساتها وعدم فعاليتها، ولذلك تُعطى الأولوية عموماً للتوجّه إلى المانحين الأجانب. ومع ذلك، فإنّ أي جهة معنية بتعزيز الفنون في لبنان، أكانت الدولة أو المانحين أو الفنانين، تستطيع اغتنام الفرص الواردة في هذه الورقة.

إنّ الحاجة إلى دعم الفنانين في لبنان مُلحّة جدّاً، كما يقول العديد منهم، وذلك لوقف هجرة المُبدعين من لبنان إلى بلدان مثل فرنسا، التي باتت تمنح بحماس تأشيرات لأصحاب المواهب. يقول ساسين كوزلي: "المشاريع التي تدعم الفنانين الذين يعملون لحسابهم الخاص ينبغي أن تكون أولوية. كان الفنانون يكسبون عيشهم من مزيج من الأعمال التجارية والفنية، وهو ما فُقد الكثير منه بسبب النقص في الاستثمار".

توافق ماري نور حشيمة على ذلك وتقول: "ثمة داعمين أقلّ، وبالتالي دعم مالي أقلّ للمؤسسات الفنية. نتيجة لذلك، انخفضت فرص الفنانين والممارسين الثقافيين لكسب المال وإيجاد وقت للإبداع، ما يدفع المزيد منهم إلى الهجرة".

يرى ساسين كوزلي أنّ دعم وتطوير المبادرات طويلة المدى - على عكس المشاريع الفردية القائمة بذاتها - يستطيع المساعدة في التعويض عن الخسارة على المدى الطويل. يقول: "إنّ تخصيص تمويلٍ للمجموعات التعاونية التي تضم مئات الفنانين ممّن يعملون على مشاريع مستدامة من شأنه أنّ يدرّ عائدات أكبر من تلك التي يدرّها 100 مشروع سريع الزوال. ينبغي استثمار الأموال في المساعي البنوية".

شرع بعض المانحين بتبني هذا النموذج، فدعموا مشاريع تعاونية تُركّز على القدرات بدلاً من المنتج النهائي. لكنّ يبدو أنّ البعض الآخر بقوا محافظين بعض الشيء في نظرتهم، فلم يدعموا سوى الفنانين المُستعدين لتناول أحداث أو تحديات مُعيّنة بشكل مباشر في أعمالهم. تقول تيريزا صهيون إنّه ينبغي على المانحين إعطاء الفنانين "حرية اختيار كيفية التفاعل" مع الأحداث الراهنة وألا يفرضوا عليهم أجندات وضعتها بيروقراطيات تعمل على بعد آلاف الأميال من هنا.

في أعقاب تحديات العامين المنصرمين، أنشئت صناديق عديدة مُخصّصة لدعم الفنانين في لبنان. ومع أنها كانت مفيدة للبعض على المدى القصير، لا يزال الكثير من الفنانين قلقين في ما يخص المدى الطويل. يقول محمد المفتي: "علينا أن نكون قادرين على بناء حركة بأنفسنا من دون الاعتماد على الممولين الخارجيين".

1. إنّ إنشاء مرصد لتوثيق ومُشاركة تحديات ونجاحات النماذج المالية والمبادرات الفنية المختلفة في لبنان من شأنه أن يدعم تطوير النماذج المؤثرة القائمة على الأدلة، وقطاع الفنون ككل. يمكن لمنصة كهذه أن تلعب دور مركز معلومات وأبحاث حول التأثير الاقتصادي والاجتماعي للصناعات الإبداعية والثقافية. نظراً إلى أنّ الفنّ يتمحور حول التعبير، وإلى أنّ هناك الملايين من الأشخاص في هذه المنطقة يعبرون عن أنفسهم بلغة مشتركة، فقد يكون مفيداً أن تعمل المنصة على الصعيد الإقليمي وليس الوطني فحسب.
2. إنّ التركيز على التعاون وبناء القدرات من شأنه أنّ يعزّز تأثير الفنانين وإمكاناتهم. ومن المرجح أن تكون المجموعات أكثر قدرة على التأثير على أجنادات المانحين وتطوير وتنفيذ مشاريع مؤثرة ومستدامة على المدى الطويل.
3. قد يوفّر التمويل الجماعي من خلال الجمهور بديلاً للنماذج المالية السائدة في العمل التجاري ومجال المنح، وهي نماذج تُقيّد عمل الفنانين بطرق مختلفة. ومن المرجح أيضاً أن يعزز التمويل الجماعي العلاقات بين الفنانين والجمهور، في لبنان كما في المهجر، ما من شأنه تعزيز الفنون والتماسك المجتمعي.

التماسك المجتمعي

للفنون القدرة على دعم بناء المجتمعات مباشرةً، وذلك لأسباب ليس أقلّها أنّها توفّر سبلاً للتعبير. شهدت تيريزا صهيون على طفرة في تبادل الإنتاج الفني النابع من أجواء

الاحتجاجات التي عمّت لبنان، وتقول في هذا الصدد: "أعتقد أن ثورة 17 تشرين أتاحت للكثيرين استخدام فنّهم للمساهمة في الثورة". أما لنا مرهج، فتري أن قوّة الفنون وقيمتها تكمن في أنّ "الفنانين يستطيعون تقديم وجهات نظر بديلة من خلال القصص... يستطيع الفن دعم تطلّعات الثورة والمُساهمة في إيضاح الرسالة التي تحملها".

يستطيع الفن أيضاً تعزيز الشمولية داخل المجتمعات من خلال إعطاء صوت للذين غالباً ما تُكْم أفواههم. تقول سارة: "يستطيع الفنانون مُساعدة عاملات المنازل في إعلاء صوتهم. لا أحد ينصت فعلاً إلى ما نريد قوله؛ لكن إذا نقل الفنُّ قصصنا ورواها فنانون مؤثرون، فإن المزيد من الناس سيستمعون إليها". توافق رانية رافعي على ذلك وتقرن بثقة عمل الفنانين بعمل الأطباء. تقول: "الفن برأيي مهنة بالغة الجديّة. لديّ مسؤولية الاستيقاظ يومياً للعمل على مشاريع تعكس المجتمع".

إنّ تنمية حسّ بالوحدة، أو أقلّه بالألفة والصّحبة، أمرٌ مهم يصبّ في خدمة الصالح العام، ويمكنه أيضاً المساعدة في التعافي. تقول بترا حاوي: "نعاني في لبنان من صدمات عابرة للأجيال وقد أرغمنا على التّحلي بالمرونة. لكنّ ذلك مجرّد قناع. فنحن في الحقيقة لا نتأقلم؛ نحن مسحوقون. مسؤولية التعافي الجماعي تقع على الدولة، لكننا مرغمون على محاولة التعافي بأنفسنا لأننا نشعر بأننا متروكون لمصيرنا".

مثل هذا الأسى، مقروناً بالتحديات المستمرة، قد يؤدي إلى عزلة نفسية وجسدية. لذلك فإنّ التفكير في ما يتجاوز المشاريع قصيرة المدى وإعطاء أولوية للعمل الإبداعي الجماعي هما أمران أساسيان. يقول محمد المفتي: "نحتاج إلى منصات تتيح للفنانين والعاملين في مجال الفنون النقاش وتحديد آليات عمل المرحلة المُقبلة وأولوياتها. ثمة نقص في التعاون، وذلك

لأن الحالة الراهنة تُحتم علينا السعي الدائم إلى البقاء، ولأن أولوياتنا مختلفة وتتجاوز ما هو جماعي... هذا مصدر صعوبة العمل التعاوني... لكنّ ثمة حاجة ملحة إلى المبادرات الصغيرة التي تتسع بمرور الزمن، مبادرات تؤسس لورش عمل وفعاليات تشبيك وحركات ثقافية".

تقول ديما مبسوط إنّ التركيز على العمل المجتمعي يبعث على الرضا ويُعطي الأولوية لعملية الإبداع وليس للمنتج. وتضيف: "الفن أسلوب حياة. هو يخلق القيمة ويُنشئ العلاقات ويعزز الإحساس بالهدف. الفن في جوهره مشاركة لتجربة، وهذه المشاركة أهم من العمل النهائي".

الفرص الرئيسيّة:

1. تستطيع المبادرات الفنية المحلية التي يطورها وينفذها فنانون بالتعاون مع المجتمعات المحلية أن تعزز العلاقة بين الطرفين (وهذا أثر شبيه بأثر التمويل الجماعي بواسطة الجمهور)، وذلك من خلال خلق روابط تستند إلى الاستثمار والاهتمامات المشتركة. مثل هذه المبادرات يمكنها أن تشمل إنتاج الفن في الأماكن العامة مثلاً.
2. يستطيع الفنانون توفير سبل تعليم ذات تأثير. خلال العامين الماضيين، تلقى الكثير من الأطفال تعليماً أضعف بكثير من التعليم الذي كان سائداً قبل ذلك. تستطيع المبادرات التي تخلق شراكات بين قطاعي الفنون والتربية أن تعزز التعليم وتقدير الفنون كما التماسك المجتمعي.

الملاحق

المُشاركون في الاستطلاع

محمد المفتي مهندس معماري وفنان تشكيلي وأستاذ جامعي. تتجذّر أعمال المفتي في الذاكرة وفي عبثية الحرب والعنف.

https://www.instagram.com/mohamed_al_mufti_art_archi/

صبا علي عازفة بيانو مصرية شهيرة تُقيم في بيروت، تُعرّف لبراعتها التقنية في العزف كما لمُخيلتها الموسيقية الواسعة. تمارس العزف المنفرد وتؤدي موسيقى الحجرة، فضلاً عن كونها مُدرّسة ورائدة أعمال.

<https://www.pianistseba.com/>

بترا حاوي مُغنيّة في فرقة "رست" (Rust) البيروتية، تمزج في موسيقاها بين الغناء العربي التراثي ومروحة من الأصوات المُركّبة الفريدة، ما يخلق تجربة تتجاوزية.

https://www.facebook.com/Rust_band17

ماري نور حشيمة قيّمة فنية في متحف سرسق في بيروت، وعضو في مجلس إدارة "آرتس كولابوراتوري" (Arts Collaboratory)، وهي شبكة أفقية ذاتية التنظيم تتألف من 25

منظمة فنية منخرطة في قضايا المجتمع.

<https://artsbeirut.wordpress.com/?s=marie+nour++>

ساسين كوزلي كاتب وممثل وناشط من بيروت، ومُساهم في مجلة The Public Source التي تتناول الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التي يُعاني منها لبنان.

<https://saseen.wordpress.com/>

ديما مبسوط فنانة مُتعددة التخصصات، تهتم بقدرة الفن على مدّ جسور التواصل بين التجارب والتخصصات والبنى الاجتماعية. ساهمت مع مجموعات عالمية في مشاريع فنية تُعنى بقضايا المجتمع اللبناني.

<https://www.catalyticaction.org/our-team>

لينا مرهج راوية بصرية وخبيرة في السرد البصري، ومؤسسة ومُديرة "مركز القصة" الذي يُقدّم تدريباً احترافياً في مجالات التحريك والرسوم التوضيحية والقصص المصورة.

<https://grandpapier.org/lena-merh>

رانية رافعي مخرجة سينمائية لبنانية أخرجت عدّة أفلام وثائقية تتناول مسائل اجتماعية وسياسية. كتبت وأخرجت كذلك أفلاماً روائية قصيرة وأنجزت أعمال فيديو وأعمال فنّ تجهيزي فضلاً عن فيلمها التجريبي الطويل الأول والحائز على عدة جوائز "74 استعادة النضال".

<https://dafilms.com/film>

تيريزا صهيون كاتبة إبداعية ومُساعدة تنفيذية في "حركة مناهضة العنصرية في لبنان" ومديرة ورش عمل كتابية في مركز الجمعية. تسعى من خلال عملها إلى دعم المهاجرين لاسترداد قصصهم.

https://armlebanonhttps://linktr.ee/Theresa_Sahyoun

سارة كاتبة وناشطة إثيوبية مُقيمة في لبنان، حيث تُدافع عن حقوق عاملات المنازل.

<https://armlebanon.org/migrant-community-center-beirut>

المصادر والمراجع

1. Skoczylas, Natalia. "Art & Activism: Report from the IETM Rijeka Plenary Meeting, 24–27 October 2019." *IETM*, 3 Dec. 2019, <https://www.ietm.org/en/publications/art-activism>.

2. "Contribution of the Art and Culture Sector to the UK Economy : A CEBR Report for Arts Council England." *Arts Council England*, Centre for Economics and Business Research, May

2020, <https://www.artscouncil.org.uk/publication/contribution-art-and-culture-sector-uk-economy>.

“Creativity Connects: Trends and Conditions Affecting U.S. Artists.” *National Endowment for the Arts*, Center for Cultural Innovation, Sept. 2016, <https://www.arts.gov/impact/research/publications/creativity-connects-trends-and-conditions-affecting-us-artists>.

E, Polivtseva. “The Moment for Change Is Now: COVID-19 Learning Points for The Performing Arts Sector and Policy-Makers.” *IETM*, Dec. 2020, <https://www.ietm.org/en/publications>.

Shishkova, Vassilka. “If Funders Really Wanted to Support Artists, What Could They Do?” *IETM*, 14 May 2019, <https://www.ietm.org/en/publications/if-funders-really-wanted-to-support-artists-what-could-they-do>.

KEA and PPMI. “Research for CULT Committee – Culture and .6

Creative Sectors in the European Union – Key Future
Developments, Challenges and Opportunities – Think Tank.”

European Parliament, Policy Department for Structural and
Cohesion Policies, Brussels, 2019.

Polivtseva, Elena. “Live Arts in the Virtualising World .” *IETM*, 5 .7

May 2020, [https://www.ietm.org/en/publications/live-arts-in-
the-virtualising-world](https://www.ietm.org/en/publications/live-arts-in-the-virtualising-world)

Polivsteva, Elena. “Performing Arts in Times of the Pandemic: .8

Status Quo and the Way Forward .” *IETM*, 30 Mar. 2020,

[https://www.ietm.org/en/publications/performing-arts-in-
times-of-the-pandemic-status-quo-and-the-way-forward.](https://www.ietm.org/en/publications/performing-arts-in-times-of-the-pandemic-status-quo-and-the-way-forward)

Crossick, Geoffrey, and Patrycja Kaszynska. “Understanding .9
the Value of Arts & Culture: The AHRC Cultural Value Project.”

Arts and Humanities Research Council, Mar. 2016,
[https://ahrc.ukri.org/research/fundedthemesandprogrammes/cul-
turalvalueproject/.](https://ahrc.ukri.org/research/fundedthemesandprogrammes/culturalvalueproject/)

Delphine, Hesters, et al. “Rewiring the Network (for the Twenties): Resetting the Agenda for IETM.” *IETM*, Feb. 2021. .10
<https://www.ietm.org/en/publications>.

“The Assessment of the Impact of COVID-19 on the Cultural and Creative Sectors in the EU’s Partner Countries, Policy Responses and Their Implications for International Cultural Relations.” *Cultural Relations Platform*, Feb. 2021, .11
https://www.cultureinexternalrelations.eu/cier-data/uploads/2021/02/CRP_COVID_ICR_Study-final-Public.pdf.

110+ Representatives of the Multifaceted European Cultural Ecosystem. “Include Culture In Your National Recovery Strategies And Reactivate Cultural Life In Europe.” Received by Member States & the European Commission, *Culture Action Europe*, 19 Mar. 2021, .12
cultureactioneurope.org/files/2021/03/Include-culture-in-your-national-recovery-strategies-and-reactivate-cultural-life-in-

Europe.pdf.

Iacob, Raluca. "Local Networks: (A Guide to) .13
Reimagining the Work of Cultural Centres." *ENCC – European
Network of Cultural Centres*, Mar. 2021,
[https://encc.eu/resources/database/local-networks-guide-
reimagining-work-cultural-centres.](https://encc.eu/resources/database/local-networks-guide-reimagining-work-cultural-centres)

"Arts and Uncertainty: Designing Creative Interventions in .14
Time of Crisis." *Independent Culture, Ettijahat, and British
Council*, edited by Rana Yazaji, 2021,
[https://www.ettijahat.org/page/1173.](https://www.ettijahat.org/page/1173)